١ ـ الميسر والأزلام

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

هذه الحكومة الرشيدة التي جاد بهـا الدهر وهو الضنين بأمثالها ، هـذه الحكومة التي ثارت ونهضت لتصرع البغي وتقضي على الفساد ، وخطت في ذلك الخطوات الواسعة السريعة ، جدير بها أن تسرع الخطى إلى مفسدتين استشرى داؤهما وكاد يقضي على البقية من الخلق والدين ، هاتان المفسدتان هما : الخمر والميسر

«يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس» (البقرة ٢١٩)

«إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه» (المائدة ٩٠)

« إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر » (المائدة ٩١)

فهذه الآيات الكريمة التي تقرن الخمر بالميسر ، وتجمع بينهما في شرورها وآثامهما ، وخضوعهما للشيطان وقوى الإفساد ، هذه الآيات لا ريب أنها ستجد من أولي الأمر فينا آذانا صاغية ، وإصغاء واعيا لأمر الله وأحكام دينه

وقد بادرت حكومتنا فاتجهت في سبيل سن العقوبات الرادعة لمدخني « الحشيشة » والاتجار بها ، وليست الخمر والميسر بأقل في أضرارهما المادية والخلقية والصحية والاجتماعية والسياسية من « الحشيشة » . فعلى موائد الشراب والقمار تضيع الأمـوال ، وتفسد الأخلاق ، وتعتل الأبدان ، وتتحلل الروابط الاجتماعية ، ويتسلل العدو إلينا فيما بين ذلك غانما رابحا . وقد قرأنا في أثناء ثورة الشعب الأخيـرة أن الأموال التي تتدفق من المصريين إلى خزائن الدول الأجنبية ثمنـا للخمور يزيد على خمسة ملايين من الجنيهات في كل عام

حقا إن الدولة قد حظرت لعب الميسر على موظفيها ، ولـكن موظفيها ليسوا كل شيء في الدولة ، فإن الميسر يتخذ صورا شتى صغيرة في مقاهي القرية والمدينة ، ويبتز أموال الفقراء الـكادحين ، ويوقع العداوة والبغضاء إيقاعا يترجم فيما بعد بالقتل وسفك الدماء وارتكاب كثير من جرائم السرقة والسطو والاغتصاب ، فأولى بالحـكومة أن تعمم تحريمه فتقطع بذلك دابر أجنـاس شتى من جرائم الأخلاق وجرائم النفوس

هـذه الرغبة الاجتماعية لدعاة الإصلاح في هذا البلد هي التي أوحت إلى أن أكتب هـذا البحث الديني التاريخي ، الأدبي اللغوي ، الذي رأيت حوله ظلاما أردت تبديده ، ورأيت أن لدى كثير من الأدباء رغبة في تجليته وإظهار أسراره ، فإن قليلا من الباحثين هم الذين تعرضوا للـكلام على الميسر ، ومن هؤلاء القلة :

١ — برهان الدين البقاعي ، المتوفى سنة ٨٨٥ كتب في تفسيره المسمى (نظم الدرر ، في تناسب الآي والسور) فصلا كبيرا ممتعـا ، وقد أفرده المستشرق السويدي (لندبرج) : Cont. c. de landeberg الذي كان يسمى نفسه «عمر السويدي» وطبعه في مجموعة (طرف عربية) في ليدن ١٣٠٣ وسمـاه (لعب العرب بالميسر في الجاهلية الأولى) وتشتمل الطرفة الأولى على أربعة مؤلفات عدد صفحاتها ١٩١ وفيها هذه الرسالة ، ورسالة أخرى هي « رسـالة التنبيه ، على غلط الجاهل والنبيه » لابن كمال باشا . والثالثة « نشوة الارتياح » للسيد مرتضى الزبيدي . والرابعة « ديوان أبي محجن الثقفي » رواية أبي هلال العسكري

٢ — السيد مرتضى الزبيدي ، شارح القاموس ، المتوفى سنة ١٢٠٥ ، ألف في ذلك رسـالة سماها « نشوة الارتياح ، في بيان حقيقة الميسر والقداح » ضمنها شرح عبارات البقاعي ، مع إيضاح ما أغفله

٣ — العلامة السيد محمود شكري الآلوسي ، كتب فصلا مسهبا في الجزء الثالث من كتابه (بلوغ الأرب) . وقد صنف في ذلك أيضا كتابا سماه « المسفر ، عن الميسر » وهو مخطوط لم يتسن لي أن أطلع عليه

٤ — ابن سيده الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٨ كتب فصولا لغوية في الميسر والأزلام ، في المخصص (١٣ : ٢٠ — ٢٣)

٥ — وهو أهم أثر تاريخي يعتمد عليه ، لقدم عهده وجلال

مؤلفه ، وهو كتاب (الميسر والقداح) لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢١٣ — ٢٧٦) الذى نشره الأستاذ المحقق السيد محب الدين الخطيب ، الذى أدين له بفضل اتجاهى إلى جهاد النشر العلمى ، حفظه الله وأبقاه

وترجع أهمية هـذا الأثر التاريخى إلى الطريقة العلمية التى نهجها ابن قتيبة ، وهو استقراء الآثار العربية الأدبيـة ، لاستخلاص هذا البحث النادر ، على قلة ما وصل إلينا من تلك الآثار التى يذكر فيها الميسر ، وفى ذلك يقول ابن قتيبة مخاطبا من كلفه تأليف الكتاب :

« وقد كلفت رحمك الله شططا ، وحاولت عسيرا ، لأن الميسر أمر من أمور الجاهلية قطعه الله بالإسلام ، فلم يبق عند الأعراب إلا النبذ منه اليسير ، وعند علمائنا إلا ما أدى إليه الشعر القديم ، من غير أن يجدوا فيه أخباراً تؤثر ، أو روايات تحفظ ، والشعر يضيق بالأوزان والقوافى عما يتسع له الكلام المنثور . على أنى لم أجد فى أشعارهم شيئا فى جـلالته عندهم وعظيم نفعه ، هو أقل منه ، إنما يعرض فى شعر المكثرين من ذكره البيتان والثلاثة ، وأكثرهم يضرب عنه صفحا . وليس ذلك مذهبهم فى وصف الإبل والخيل والحمير ، والنعام والظباء والقطا ، والفلوات والحشرات . ولم أجد فيهم أحـداً ألهج بذكر القداح من ابن مقبل ، ثم الطرماح بعده . ولو جمعت مافى شعر أحدهما من ذكره لم تجده بعشر ما فيه من وصف حمار أو بعير [1] »

فمن هذا يتضح مقدار الجهد الذى بذله ابن قتيبة ، وكشف به الدستور الذى كان يتبعه العرب فى الجاهلية فى لعب الميسر

على أن ابن قتيبة كتب هذا البحث بلغة معاصريه ، وقارب منهجهـم الذى لا يسوده النظام الكامل ، ويشيع فيـه الاستطراد والحشو

وإنى لمحاول هنا أن أبسط البيان فى هـذا بلغة معاصرة ، وبأسلوب أحسبه منظما ، راجعا فى ذلك إلى شتى المصادر التى تعين فى هذا البحث الشاق الوعر ، وبالله التوفيق

(١) اقرن بهذا النص ما ذكره ابن سيده فى المخصص (١٢ : ٢٠) من قوله : « قال أبو عبيد : سـألت الأعراب عن أسمـاء القداح ، فلم يعرفوا منها غير المنيح ، ولم يعرفوا كيف يعملون فى الميسر » !! وأضف الى ذلك أيضا ما قاله الأصمعى فى تجزئة الجزور الى ثمانية وعشرين جزءا وسيأتى فى الكلام على « الجزار » ومن هـذه كلها تفهم الصعوبة والغموض الذى كان عليها على معرفة العلماء بحقيقة الميسر

لفظ الميسر ومدلوله

لا ريب أن عرب الجاهلية كانوا يطلقون لفظة الميسر غالبا على المقامرة بالأقداح لاقتسـام الجزور بطريقة خاصة نذكرها فيما بعد ، وهو ما يعبر عنه أبو حيان فى تفسيره [2] بأنه « قمار أهل الجاهلية »

فالميسر على هذا مصدر ميمى ، كالمرجع من رجع ، والموعد من وعد

ويطلقون الميسر أيضا على الجزور نفسه ، فهو اسم موضع من اليسر ، بفتح الياء ، واليسر : التجزئة ، ولذلك سموا الجازر ياسرا لأنه ييسر اللحم ويجزئه

قال ابن قتيبة : « هذا الأصل فى الياسر ، ثم يقال للضاربين بالقداح المتقامرين على الجزور : ياسرون ، لأنهم أيضا جازرون ، إذ كانوا سبباً لذلك ، وكان الجزور إنما يقع بضربهم ، والجازر يفصل اللحم لهم بأمرهم . وكل من يأمر بشىء ففعل فهو الفاعل له وإن لم يتوله بيده [3] » . فالإطلاق الأول إطلاق مجازى ، والإطلاق الثانى هو الإطلاق الحقيقى

وقد ذهب مقاتل إلى أن اشتقاق « الميسر » من اليسر ، لأنه أخذ لمال الرجل بيسر وسهولة ، من غير كد ولا تعب [4]

وقال الواحدى : إنه من قولهم يسر لى هـذا الشىء ييسر يسرا وميسرا ، إذا وجب [5]

وقال أبو حيان فى تفسيره : إن السهام التى يقتسم بها يقال لها أيضا « ميسر » وذلك للمجاورة [6] . والوجه فيما ذكره أبو حيان أن يقال إن مجازها من أنها آلة للميسر

على أن الإســلام فيما بعد أطلق « الميسر » على جميع ضروب القمار

(٢) تفسير أبى حيان (٢ : ١٥٧)

(٣) الميسر والقداح ٣٥

(٤) الفخر الرازى (٢ : ٢٢٠)

(٥) الفخر الرازى (٢ : ٢٢٠)

(٦) تفسير أبى حيان (٢ : ١٥٤)

١ — روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إيا كم وهاتين الكعبتين فإنهما من ميسر العجم [٧] » . فقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لعب « النرد » ضربا شبيها بميسر العرب فى اقتسام الجزور . والكعبة فى هذا الحديث هى الفص من فصوص النرد ، يقال له « كعب » و « كعبة » أيضا

٢ — وفى الحديث أيضا أنه « كان يكره الضرب بالكعاب [٨] »

٣ — وعن ابن سيرين ومجاهد وعطاء : « كل شئ فيه خطر — وهو ما يأخذه الغالب فى النضال والرهان ونحوهما — فهو من الميسر ، حتى لعب الصبيان بالجوز [٩] »

ولا يزال اللعب بالجوز ونحوه من البندق والفول السودانى وقصب السكر متعارفا بين صبياننا إلى هذا العهد ، يزاولون ذلك بطرق مختلفة

فالتابعون والفقهاء قد ألحقوا بميسر الجاهلية كل ما يمت إليه بسبب من مختلف ضروب القمار ، قاسوا هذا بذاك [١٠] ، ولم يستثنوا من ذلك شيئا إلا السبق فى الخف والحافر . قال الفخر الرازى : « أما السبق فى الخف والحافر فبالاتفاق ليس من الميسر ، وشرحه مذكور فى كتاب السبق والرمى من كتب الفقه »

وأما الشطرنج والنرد ونحوهما فكراهتهما لما فيهما من شبهة القمار . قال الفخر : « قال الشافعى : إذا خلا الشطرنج عن الرهان ، واللسان عن الطغيان ، والصلاة عن النسيان ، لم يكن حراما » . قال : « وهو خارج عن الميسر ، لأن الميسر ما يوجب دفع المال أو أخذ مال ، وهذا ليس كذلك فلا يكون قمارا ولا ميسرا »

وقال مالك : الميسر ميسران : ميسر اللهو ، فمنه النرد والشطرنج والملاهى كلها . وميسر القمار وهو ما يتخاطر الناس عليه [١١]

(٧) الفخر الرازى (٢ : ٢٢)
(٨) لسان العرب (كعب)
(٩) الفخر الرازي (٢ : ٢٢)
(١٠) فى الخزانة (٢ : ٧ : ٢) نقلا عن الزجاج فى تفسيره : « إجماع العلماء أن القمار كله حرام ، وإنما ذكر الميسر من دونه — يعنى أنه ذكر فى الكتاب — وجعل كله حراما قياسا على الميسر ، والميسر إنما كان قمارا فى الجزر خاصة »
(١١) تفسير أبى حيان (٢ : ١٥٧)

وقال ابن قتيبة [١٢] بعد أن ذكر الميسر الذى حرمه الله فى الكتاب ، وهو ضرب القداح على أجزاء الجزور قمارا : « ثم يقال للنرد ميسر على التشبيه ، لأنه يضرب عليها بفصين كما يضرب على الجزور بالقداح ، ولأنهما قمار كما أن الميسر قمار ، ولا يقال للشطرنج ميسر ولا من الميسر ، لأنها فارقت تلك الصفة وتلك الهيئة إنما هى رفق واحتيال »

ويفهم من هذا النص إما أن لعبة الشطرنج فى عصر ابن قتيبة لم تكن مجالا للمقامرة ، أو خفى على علمه أن لاعبيها كانوا يقامرون عليها ، ولكن معرفته بأن النرد كان مجالا للمقامرة يرجح أن الشطرنج لم تتخذ فى عصره موضعا للمقامرة

وكان القوم ينفرون من الشطرنج ولاعبيها نفورا شديدا . روى الراغب الأصفهانى [١٣] أن أهل المدينة كانوا إذا خطب إليهم من يلعب الشطرنج لم يزوجوه . وذلك لما كانوا ينظرون إليه من نقص دينه ، ولأنهم كانوا يزعمون أن الشطرنج «إحدى الضرتين » ، وذلك لما يشغل صاحبه شغلا عن أهله وبنيه

لفظ القمار ومعناه

والقمار لفظ أعم من الميسر ، إذ يطلق على جميع أنواع المراهنة . يقال : قامره مقامرة وقمارا ، إذا راهنه ؛ وقمره قمرا ، إذا غلبه فى ذلك . وفى حديث أبى هريرة [١٤] : « من قال تعال أقامرك فليتصدق بقدر ما أراد أن يجعله خطرا فى القمار » . ويقال تقمر الصياد الظباء والطير بالليل ، إذا صادها فى ضوء القمر فتقمر أبصارها فى ضوئه ، أى تعشى وتتحير فتصاد . والتقمر : الاختداع . فمرجع القمار إنما هو إلى الخداع . وكذلك يفعل لاعب القمار ، فإنه يحاول اختداع صاحبه لتكون له الغلبة عليه

لفظ الأزلام ومعناه

والأزلام جمع زلم بالتحريك وبضم ففتح . والزلم ، والسهم ، والقدح بالكسر مترادفة المعانى ، تدل كلها على قطعة من غصن

(١٢) الميسر والقداح ٣٦
(١٣) محاضرات الراغب (٤ : ٣٤٦)
(١٤) اللسان (قمر)

مسواة مشذبة

وأكثر ما يستعملون « الزلم » في « الاستقسام » ، وهو ما سنفرد له قولا خاصا . وأكثر ما يستعملون « السهم » في سهم القوس الذي يرمى به ، وأكثر ما يستعمل القدح في قداح الميسر التي تجال لقسمة الجزور ، وكل من هذه الألفاظ الثلاثة ينوب عن الآخر في الاستعمال

زمان الميسر

لم يكن الميسر عند العرب لهوا يلهون به ، ولعبة يلعبونها ، إنما كان نظاما اجتماعيا دعتهم إليه ظروفهم الاجتماعية ، وساقتهم إليه طباعهم البدوية ، فالباعث الحقيقي عليه كان «الكرم» وكان التباهي بالكرم ، وهذا الأخير هو الذي أظهر الدين كراهته فيما بعد ، كرهه الدين وكره معه أيضا ما كان يصحب هذا الصنيع من نزاع وجدال وخصومة في سبيل الظفر بأوفى نصيب ، هذا إلى ما يقارنه من المخاطرة بالمال والتعرض للفقر

ومن بواعثه أيضا إعانة الفقراء فيما بينهم ، إذ كان الفائز منهم بنصيب لا يتناول منه شيئا ، بل يلقيه إلى المحتاجين والمعوزين من ذويه ، ليسد أرماقهم

قال أبو حيان (١٥) : « وأيهم خرج له نصيب واسى به الفقراء ، ولا يأكل منه شيئا ، ويفتخرون بذلك » . ثم قال : « وربما قامروا لأنفسهم » أي إن ذلك أمر نادر

والحاجة والعوز — وهما المتطلبان للكرم والجود — إنما يشتدان في وقت الشتاء عند العرب ، وذلك عندما تجدب البلاد وتقشعر الأرض ، ويتعذر القوت على طالبه ، وحينما يكلب الزمان وتضن البلاد بخيراتها ، والنوق بألبانها

وليس في طوقك أن تتصور حال البؤس وشظف العيش الذي يتعرض له الأعراب في باديتهم في ذلك الزمان ، ومقدار الحاجة الملحة التي كانت تنزل على الأرامل والأيتام في تلك المجدبة والمسغبة

فالوقت الطبيعي للميسر عند العرب هو فصل الشتاء ، وهم يختارون الليل في ذلك الفصل ، لأن الليل وقت طروق الضيف ، وحين اشتداد البرد ، فيوقدون النار ليهتدي بها الضيف ، وليستطيعوا أن يزاولوا هذا العمل في يسر

وكان الرجل من العرب يخشى الصيف، أن يحضر الصيف ولم يكن صنع لنفسه في شتائه مفخرة تذكر له حين تذكر المفاخر ، فهو يخشى أن يعير في الصيف بنكوصه عن المشاركة في هذا الجهد الاجتماعي ، وإمساك يده عن مساعدة القبيلة

إذا يسروا لم يورث اليسر بينهم
فواحش ينعى ذكرها بالمصايف (١٦)

وذلك أنهم يخصبون في الصيف فيتذاكرون ما كان من الناس في الشتاء ، فيعير كل امرئ بسوء فعله (١٧)

وقد سجل الشعر العربي أن الميسر يكون في الشتاء ، فقال الأعشى :

المطعمو الضيف إذا ما شتوا والجاعلو القوت على الياسر

وقال متمم بن نويرة :

ولا برما تهدى النساء لعرسه إذا القشع من برد الشتاء تقعقعا

البرم : الذي لا يدخل معهم في القداح ، ويسمونه أيضا « المعزال » (١٨) . وإذا كان الرجل كذلك لم يدخل اللحم بيته إلا بأن يهديه نساء الحي إلى امرأته

وقال طرفة :

وهم أيسار لقمان إذا أغلت الشتوة أبداء الجزر

.. الأبداء : جمع بدء ، وهو النصيب من الجزور

وقال عنترة :

وربذ يداه بالقداح إذا شتا هتاك غايات التجار ملوم

وقال لبيد :

وبيض على النيران في كل شتوة سراة العشاء يزجرون المسابلا

قال ابن قتيبة (١٩) : يريد أنهم يضربون بالقداح فيصيحون بها ويزجرونها إذا ضربوا ، كما يفعل القامرون بالنرد

للبحث بقية

عبد السلام محمد هارون

---

(١٥) تفسير أبي حيان (٢ : ١٠٥) ، ومثله الفخر الرازي (٢ : ٢٢٠) ، وفي الخزانة (٢ : ١٧٧) : « وكان الغالب يفرق ما أخذه على الفقراء »

(١٦) المرقش في المفضلية ٥٠ طبع المعارف

(١٧) الميسر والقداح ١٠٧

(١٨) اللسان (عزل)

(١٩) الميسر والقداح ٥١